الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

المرجع: .....

السخرية في كتاب التطفيل للبغدادي

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الليسانس

الشعبة: أدب عربي

التخصص: دراسات أدبية.

إشراف الأستاذة :
زهيرة بوزيدي

إعداد الطالبتين:
*- سميرة كشود.
*- زينب حلايلي.

السنة الجامعية: **2019/2018**

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد الله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة

وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز

هذا العمل

شكر وتقدير خاصان نتقدم بهما لأستاذتنا

"زهيرة بوزيدي"

التي كانت لنا السند العلمي والمعرفي

بنصائحها وتوجيهاتها القيمة التي ساعدتنا

في إنجاز هذا البحث المتواضع

فوفقها الله على ذلك ورعاها

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتنا

وبخاصة أساتذة معهد الآداب

واللغات الذين وقفوا معنا جنباً

إلى جنب طيلة المسار الدراسي

مقدمة

مقدمة:

تعد السخرية أسلوبا للتهكم والاستهزاء ، وهي صورة من صور الفكاهة والضحك، ونوع من التأليف الأدبي الذي يقوم على أساس الانتقاء لدى الأشخاص، حيث ارتبطت بعنصر التطفيل الذي هو التعرض على طعام، أو أشياء الآخرين دون دعوة منهم، ومن هنا نتساءل

- ما السخرية ومادلالتها؟.

-وما اسبابها؟.

-وكيف برزت هده الظاهرة في التطفيل؟.

-وكيف مورس التطفيل في المجتمع؟.

ثم إن سبب اختيارنا لهذا الموضوع يرجع إلى أسباب ذاتية ، وأخرى موضوعية، فلكل دراسة دوافع ينطلق منها الباحث تكون حافزا لاختيار بحثه منها: الموضوع الجذاب للغاية نظرا لحداثة الالتفات إليه في تاريخ الأدب العربي ثم إننا وضعنا خطة لهذا البحث، وهي تحتوي على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

وقد خصصنا في المبحث الأول الموسوم بمصطلحات الدراسة بدأنا بتعريف السخرية مرورا بكيفية ظهورها، وما يتصل بها، وبعدها بدا البحث يأخذ مجراه التطبيقي في المبحث الثاني والمعنون بـ: "التطفل وحكايات الطفيليين، وأخبارهم ونوادر كلامهم، وأشعارهم " بدأنا فيه بالتعريف بصاحب الكتاب الخطيب البغدادي، وقد جمهرت تحت لوائه أبواب بعناوينها حيث عالج فيها البغدادي ظاهرة التطفيل، وكذا عصوره وسمات الطفيليين، وكل ما يحيط بهم، ثم ختمنا البحث بخاتمة جمعت جل النتائج المتوصل إليها من هذا البحث.

وحتى تصل الدراسة الى المعنى الحقيقي، ونتجاوز الغموض اعتمدنا على المنهج الاجتماعي لكونه الأنسب لهذا البحث معتمدين على مجموعة من المصادر والمراجع المساعدة على تدليل صعوبات هذا الموضوع منها:

-كتاب التطفيل للخطيب البغدادي مصدرًا أساسيا للبحث وكتب مراجع منها.

-إخبار الأذكياء لابن الجوزي.

-ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي

- السخرية في الادب العربي محمد الرقيبات علي المومني.

- «السخرية والفكاهة في العصر العباسي»نزار عبد الله خليل الضمور.

إضافة إلى ذلك بعض الدراسات التي رأيناها تخدم البحث من قريب أو بعيد كبعض الأطروحات الجامعية منها: مشتوب سامية مذكرة لنيل شهادة الماجستير السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة.

كما يمكن الاعتراف بداهة بان لكل بحث او دراسة مصاعبها وعوائقها ثم ان الصعوبة الحقيقية التي اعترضت سبيلنا هي قلة الوقت.

وفي الأخير نترفع الشكر الجزيل للأستاذة الفاضلة: «**زهيرة بوزيدي**» التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها القيمة وجزاها الله عن كل خير.

-وعلى الله قصد السبيل-

2019/06/09م

ميلة

المبحث الأول

السخرية النشأة والتطور

أولا/ السخرية

1- تعريف السخرية

2- السخرية في الأدب

3- أسباب السخرية

ثانيا/ التطفيل

1- تعريف التطفيل لغة

2- تعريف التطفيل اصطلاحا

تمهيد:

تعد السخرية من الظواهر الاجتماعية، المنتشرة في المجتمع، وهي إحدى الطرق للتعبير عما يجول في النفس والخاطر، وحينما يعجز الانسان عن التعبير بشكل صريح وواضح يتجه إلى الهمز واللمز، بغطاء السخرية قناعاً يستتر من خلفه.

وقد تطرقنا في هذه الدراسة إلى موضوع التطفيل كظاهرة برزت بوضوح في المجتمع معتمدين في بحثنا هذا على كتاب التطفيل، وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم، للخطيب البغدادي، حيث سرد فيه أخباراً عن الطفيليين وفق منهجية صريحة اتخذت من الطابع الاجتماعي ركيزة لهذا العنصر.

والتطفيل هو من الظواهر المنتشرة في المجتمع قديماً وحديثاً، وبكل أنواعه وأشكاله ويكون التطفيل في أشياء متعددة، كالتطفيل في المأكل والمشرب والأسرار والخصوصيات وفي اللباس وغيرها، وهو ظاهرة مذمومة ومنبودة في المجتمع، ونهي عنها الإسلام أيضاً لأنها سلوك سيء ويسبب الإزعاج والإحراج للآخرين في حياتهم اليومية .

فالجميع يحاولون أن يتحاشوا هؤلاء الفئة من الناس، ويحاولون التهرب منهم دوماً والتخلص من فضولهم الزائد.

ونجد بأن المتطفل هو شخص غير سوي يعاني من اضطرابات نفسية تجعله يقوم بفعل التطفل، ويتميز بفضول زائد يحاول من خلاله معرفة كل شيء عن تفاصيل حياة الأخرين من غير استئذان ولا سؤال.

أولا/ السخرية:

1 تعريف السخرية:

1/1-لغة: نقول سخر منه وبه سَخْراً وسَخَراً، ومَسْخَراً وسُخْراً بالضم وسُخرةً وسِخريّاً وسُحريا وسخْرِيَة هزئ به، يقال: سخِرت منه ولا يقال:سخرت به قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ﴾الحجرات (11)وسخرت من فلان هي اللّغة الفصيحة، وقال تعالى: ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾التوبة79.

والإسم السِخْرِيَّةَ والسُخْريُّ أو السَخريُّ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آَيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾الصافات14 أي يدعوا بعظهم بعضا إلا أن يسخرون ويستهزؤون، ويظهر الإسم بتشديد الياء أو بتخفيفها: سَخِرَتَ سُخْرِيَةُ وسُخَرِيَهُ الهزئ.[1]

وجاء في مقاييس اللّغة لأحمد بن فارس: سَخَرَ: السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار واستدلال، وقال الأخفش سَخِرْتُ منه وسَخِرتُ به وضحكتُ منه وضحكتُ به وهزئت منه، وهزئت به، كل يقال: والاسم السخرية والسخرى تدل لفظة السخرية على أسلوب في التعبير يثير الضحك والاستهزاء، والسُخْرَةُ: ماتسخَرَت من دابة أو خادم بلا أجر ولا ثمن ويقال: سَخَرْته، أي قهرته وذلته قل تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾هود38 ومن ثم فهي تثير الإستهزاء والضحك[2].

1-2/إصطلاحاً:

السخرية هي نوع من التأليف الأدبي، أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس الانتقاد للردائل والحماقات، والنقائص الإنساني، الفردية منها والجماعية، فالساخر يرصد ويراقب ما

---

[1]- محمد مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المتوفي 711هـ- لسان العرب- دار صبح، بيروت، لبنان- ط1- 2006-ج1- مادة (س.خ.ر) ص183.

[2]- أحمد فارس، مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج3، ص144-145.

يجري من أخطاء، ويستخدم وسائل وأساليب خاصة بالتهكم يقصد من ورائها محاولة التخلص من بعض الخيال، والخصائص السلبية في المجتمع، إذ يرى بعض الباحثين أن السخرية هي طريقة من طرق التعبير، يستعمل فيها ألفاظ تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة، وهي صورة من صوّر الفكاهة إذ إستخدمها فنان موهوب بذكاء وأحسن عرضها لتكون سلاحاً مميتا في يده، ونجدها ظهرت في شعر الملامح والتراجيديا والكوميديا[1].

والسخرية فن من فنون الفكاهة مثلها مثل فنون أخرى عرفتها العرب واتخذها وسيلة وغاية من أجل تسلية النفس وإذهاب متاعب الحياة لعل أكثرها حظورا في المجتمعات الأدبية المسرح، المزاح، الهزل، الإستهزاء، الدعاية والنكتة، وتمثل هذه العناصر مصدراً من مصادر التسلية والترويح عن النفس، التي يلجأ إليها الإنسان لمحاربة الإكتئاب والضغط وضيق الحياة وعذابتها[2].

ويختلف الخطاب الفكاهي عن الخطاب الساخر في كون الأول هو العبث والاضحاك في حين أن غرض الساخر التهكم والنقد واللذع، فالسخرية سلاح ذو حدين، إذن أنها من أمضى الأسلحة الهجائية تعتمد على إختراق الأشياء والنقاد إلى حقيقتها، وهي تبحث عن استراحة النفس وطرد متاعب الحياة.

فالسخرية قديما طريقة من طرق التعبيير التي تعتمد أسلوب التهكم المرير الذي يجرح المتلقي وينقص من قبضته بعد التنقيب عن عيوبه وفضحها أمام الملأ[3].

---

[1]– نزار عبد الله خليل الضمور، "السخرية والفكاهة في النثر العباسي"، دار ومكتبة الحامدة، ط 1، الأردن 2012، ص15.

[2]– محمد الرقيب ن، علي المومني، المؤتمر العشرون، "السخرية في الأدب العربي"، جامعة جرش، عمان، ط 1، الأردن، 2007، ص272–308، مؤنمر نقدي 20.

[3]– المرجع نفسه، ص308.

فالسخرية فن من الفنون الفكاهية، وأسلوب من أساليب التعبير عن الواقع الانساني والاجتماعي والسياسي بعين هازلة لا تخلوا من النقد، يستخدمها فنان موهوب بذكاء ويحسن عرضها إذ تكون في يده سلاحاً مميت.

2 السخرية في الأدب

2-1- السخرية عند الغرب

ظهرت السخرية عند الغرب في نقد المجتمع القديم المعلى فها هو بترونيس ينقد المجتمع الروماني، ويحدو حدوه في القرون الوسطى، رابليه وثيربانتس قد حاول الأخير إستئصال فكرة الفرسية التي كانت مسيطرة على أوروبا في ذلك الحين، وقد نهج نهجه كل من تلر الذي سخر من المتزمتين ورونيه، الفرنسي الذي كان يسخر من الدين يعنون بقواعد لغة وعروض الشعر عناية تطغى على الموضوع.

وعرفنا مما سبق أيضا بعض صور السخرية التي يتبعها الساخرون كمحاكاة الأمور الجدلية بطريقة هزلية لاحالتها إلى صور، والتعريف ورسم الصور المضحكة والمبالغة فيها والشعر الحماسي الساخر كأعضاء الجسم وما وجد فيها من خلل.

وكانت السخرية إما منظومة، وإما في قالب مقالات أو قالب قصصي، أو مسرحيات أو قصص خيالية مبتدعة، وإلى جانب القصص الخيالية تنبض القصص ليفولتير ومسرحيات موليير وبيرناردشو الواقعة التي تحاكي الحياة بأحداثها كما جاء في كنديد، وقد كان يقول رابليه السخرية والفكاهة هما وحدهما السبيل إلى نجاة العالم وتخليصه من شوائبه.

فقد تجلت السخرية عند الغرب من خلال إثارة الضحك إذ كان رئيس القبيلة البدائية يجلس في كوخ محاطا بالمحاربين من قبيلته، وكانوا يسيلون أنفسهم ويتلهون بتناول أعدائهم وخصومهم بالهزء فكانوا يضحكون من ضعفهم، ويتبادلون النكت بما يجدون فيهم من نقص

أو تشويه سواء كان هذا النقص عضويا، أو في عقلهم وحيلتهم، ويطلقون عليها ألفاظ مضحكة[1].

وهكذا يمكن أن نفرق بين نوعين من السخرية من ناحية الكم إذا سمح لنا التعبير الأدبي، أما من ناحية الكيف فقد اختلفت درجة السخرية عند الكتاب فكانت عند بعضهم خفيفة رقيقة هادئة، وعند بعظهم الآخر قاسية عنيفة لا ترحم فمن النوع الأول كان باسكال في خطاباته الريفية ومن النوع الثاني جوستاف فلوبير، ونستطيع أن نميز أيضا بين سخرية ضاحكة مستبشرة متفائلة يحيطها الكاتب بسياج من الفكاهة، وهي الصفة الغالبة على أكثر الكتاب الأمركيين مثل: واشنطن ارفنج ومارك توين[2].

أما السخرية الأخرى فهي السخرية الجادة الرزينة المتشائمة التي ظهرت عند سويفت، ويمكن أن نميز أيضا بين السخرية السطحية التي يدركها القارئ العادي دون الحاجة إلى إعمال الفكر، وبين السخرية العميقة التي تعدوا فطنة القارئ العادي، وأغلب الكتاب ينتظم النوع الأول (السطحية)، وهم فريق يعملون على إجتذاب القراء وإلى الوصول إلى غايتهم ومآربهم.

وقد تأثر كثير من الكتاب الساخرين بظروف حياتهم أو تكوينهم الخَلقي والخُلقي والنفسي، فصيغ بصيغة السخرية فالكاتب الروماني جوفينال عان في نشأته الأولى كثيرا من الاستخفاف والاستحقار حين اضطره فقره إلى الإعتماد على بعض السادة من الأغنياء فلجأ إلى ظل حمايتهم لينال عطائهم لقاء شعره[3].

كذلك كانت حياة سويفت الذي نشأ يتيما وضاق درعاً بالحياة في كتف عمه، ون كان يعمل تحت إمرته، ولم ينل مآربه أو ما يكافئ بنوعه، وقضى الأعوام السبعة من عمره في وحشته، ويأس من الحياة، ثم إن بعض الساخرين كانوا يهاجمون بسخريتهم أشخاصاً

---

[1]– ينظر، نعمان محمد أمين طه "السخرية في الأدب العربي في نهاية القرن 4هـ"، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر، لبنان ط1، 1978م، ص21–22.

[2]– نعمان محمد أمين طه، المرجع السابق، ص19–20.

[3]– ينظر: نبيل راغب، الأدب الساخر، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، د.ط، 2000م، ص14–15.

معنيين، خصوصاً لهم أو أعداء وهناك آخرون كانوا يحاولون مهاجمة عيوب المجتمع، ومحاولة إصلاحه[1].

السخرية عند الغرب ليست مجسدى فقط في المنظومة في المنظومة أو المقالة، أو الرواية بل جسد كذلك في المحاكاة والمسرحية والموسيقى والرسم، ولا تنسى الخيال، وإن سبب تأثر الكتاب بمواضيع السخرية راجع بالدرجة الأولى إلى ظروف حياتهم الصحية المتدهورة.

2-2- السخرية عند العرب:

بين الباحثون والدارسون الطبيعة الأدبية للسخرية وكذا ارتباطها بالعلوم الانسانية الأخرى (نفسية، إجتماعية...) وذلك باعتبارها فناً من فنون القول، حيث أكد بيداليمان أنه يجب التفريق بجلاء وبصورة وبصورة نهائية بين السخرية كمبدأ فلسفي، والسخرية كظاهرة من ظواهر أسلوب الأدبي؛ أي بالتركيز على مكوناتها اللسانية والسيميائية وكذا بعدها الدلالي والإجتماعي في النص الأدبي لذلك يمكن حصرها في مكونين إثنين:

- **مكون إنفعالي:** يتجلى في الاستخفاف المشتمل على الضحك أو الرغبة فيه، وعلى الاستهجان أو مجرد الاحساس بالمفارقة.
- **مكون لساني يتائي:** يتجسد من خلال المفارقة الدلالية أو ما يترتب عنها من غموض والتباس، معنى ذلك أن منطق السخرية يقوم أساسا على الاحساس بمفارقة دلالية يشكلها تقاطع بنية ضدية بين المعنى الظاهر والمعنى الملتبس الذي يؤدي إلى إفتعال الضحك أو الرغبى فيه.

لقد حفل التراث الأدبي العربي بالعديد منالصوّر الساخرة مع أنها لم تبرز في شكل أدبي قائم بذاته حيث كانت مرتبطة بالفنون الأخرى ففي العصر الجاهلي كانت مرتبطة بالغضب والهجاء والذم الذي كان نوعاً من السخرية[2].

---

[1]- نعمان محمد أمين، المرجع السابق، ص20-21.

[2]- مشتوب سامية، السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، قسم اللّغة والأدب العربي، جامعة تيزي وزو، الجزائر، 2001، ص11.

ورغم ما يبعثه أحياناً في نفس المهجو من الضيق والألم فإنه يثير الضحك عن طريق إبراز العيوب، وتجسيدها والمبالغة في تصويرها إلى الدرجة التي تجعل المهجو غير ملائم للصورة الطبيعية التي يجب أن يكون عليها الكائن، ومن ذلك ما قاله "حسان بن ثابت" في هجائه لبني عبد المدان بطول أجسامهم وأبدانهم:

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ جسم البغال وأحلاهم العصافير

إن تثبيت حسان الأجسام بني عبد المدان بالبغال، وعقولهم بعقول العصافير موقف ساخر حاول تبيان العيوب الجسدية والنفسية لهم.

ولقد عرفت العرب نوعاً آخر من الهجاء ربما يكون أقل حدّة وأخف وطأة لأنه يأتي بشكل غير مباشر، فيكون ذمّا في صيغ المدح نذكر من ذلك قريط بن أنيق العنبري في قومه:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسو من السر في شيئ وإن هازا

يجزون من أهل الطّلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

فليت لي بهم قوما إذ ركبوا شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

فالشاعر في هذه الأبيات وبعدما أطلعنا على الصفات الحميدة لقومه يأتي في البيت الأخيرة ليتهمهم بالضعف، والتدليل وهي صورة أخرى من صور السخرية التي يمكن أن تكون تهكماً مريراً، أو هجاء يظهر فيه المعنى بعكس ما يضنه الانسان[1].

ثم إنه هجاء إجتماعيٌ خالٍ من السب والشتم ممزوج بشحنة عاطفية متدفقة يملؤها التحسر لحال قومه من جهة والغضب والسخط على حياة الذّل والهوان التي كانو يعيشونها من جهة أخرى.

[1]– مشتوب سامية، المرجع السابق، ص12–13.

السخرية في الأدب العربي عنصر يحتوى على توليفة درامية من النقاد والهجاء والتلميح واللماحية والتهكم والدعاية[1].

ظهرت السخرية في شكل إستهزاء وضحك وفكاهة وتهكم إذ تعد من طرق التعبير لدى الإنسان.

3- أسباب السخرية:

تعتبر السخرية من الظواهر الاجتماعية السلبية المنتشرة في المجتمع قديما وحديثاً وهي أمر غير محبوب لما فيها من احتقار واستصغار للإنسان، وأن لهذه الظاهرة عدّة أسباب قد ترجع إلى:

- حقده على المجتمع لما يشعر من نقص خلقي أو حرمان ويتخذ ما منحه الله من موهبة للسخرية من الأفراد أو المجتمع لإخفاء هذا النقص، وقد ترجع إلى عداوة بينه وبين الشخص الذي ينقده لسبب من الأسباب التي تنجم عن الاحتكاك الدائم بين الناس بغرض الانتقام.
- وقد ترجع إلى تعالي شخص ناقص لا يحس ما فيه من نقص فيضطر الأديب الساخر إلى أن يرده إلى صوابه أو إلى منطقه، كما يحاول حين داك أن يبحث عن عيوبه فيضخمها ويكبرها ويجعل منها بفنه أداة للضحك؛ حيث يرى أدلر أن البغض والانتقام هما الشيطانان التوأمان اللّذان يولدان السخرية وقد صدق حين قال : «العبث والغرور بابان من أبواب السخرية بل هما جماع أبوابه كافة...» [2].
- وقد تكون نابغة من حساسية النقاد نفسه فهو يكون ذو عين بصيرة ناقدة يحس نقائص المجتمع ثم يكون فيها روح مرحة ضاحكة يتناول العالم ومافيه تناولا بأساليب السخرية

---

[1]- ينظر: محمد العمري، البلاغة بين التخيل والتداول ص97، د ط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2005.

[2]- نعمان محمد أمين طه، "السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري:، دار التوفيقية، جامعة الأزهر ط1، 1978، ص15.

المختلفة يقصد من وراء ذلك الإصلاح، وغرضه الاضحاك أو يقصد بالسخرية معالجة هذه الحساسية إن صح هذا القول لأن الحساسية مرض قد يتناهى حتى يتعب صاحبه فيجعله لا يرضى عن سيء في الحياة.

-تراجع الرغبة في السخرية من الغير إلى استعداد الفنان المزاجي الذي يكون ذهنه مهيئاً دائماً إلى التعريض بالغير والسخرية من الناس، مع انتقاد دافع شخصي معين يدفعه إلى ذلك، ويمكن أن يصل حد هذا الدافع أو الوازع إلى أن يكون الشخص نفسه ميالاً إلى الشر بطبعه، يميل إلى إغاضة الناس والتشفي منهم من خلال محاولة الانتقام منهم كرهاً وحقداً وهذا متأصل في الطفولة الانسانية حينما ترى بعض الصبية يقدفون بعض الحيونات بالحجارة ويعتدون عليها من أجل إثارة الضحك والتسلية والسخرية منها، وأحياناً يعتدون عليها خوفاً مها ودفاعاً عن النفس.[1]

تظهر الأسباب العامة للسخرية من جانبين أحدهما فردي والآخر جماعي فقد تكون الأولى لسبب شخصي يعاني منها الفرد من حرمان ونقص فيضطر للسخرية، للسخرية أما الجانب الجماعي فسببه عداوة الآخرين الذي يسببه الظلم، حيث يلجأ للسخرية للإنتقام منهم أو يسخر بمحاولة أحد الأشخاص التكبر على الناس والاستخفاف بهم دون أن يكون لديه شيئ من أسباب التعالي.

4- تعريف التطفيل:

4-1- لغة:

والتطفيل: السير الرويد ويقال طفلتها تطفيلاً يعني الإبل وذلك إذا كان معها أولادها فرفقت بها في السير ليلحقها أولادها الأطفال فأما قول كهدل الراجز:

يارب لا تردد إلينا طفيلاً.

[1]- ينظر: السيد عبد العليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط1، 1988، ص65.

ومعنى التطفيل همت الشمس بالوجوب ودنت بالغروب وطَفَلَ اليل دنا وأقبل بظلامه وقد أنشد ابن الأعرابي: وطيبة نفس بتأبين هالك.

نذكر أخدانا إذا اليل طَفَلَ

وطُفَيَّلٌ شاعر معروف وطُفَيْل الأعراس وطُفَيْل العرائس رجل أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يأتي الولائم دون أن يدعى إليها، وكان يقول: ودِدْتُ أن الكوفة كلها بركة مصهرجة فلا يخفى عليَّ منها شيئ ثم سميّ كل راشن طُفَيلياً وصرفوا منها فعلاً فقالوا طَفَلَ ورجل طِفْلِيلْ يدخل مع القوم في كل طعامهم من غير أن يدعى ابن السكيت، في قولهم فلان طُفَيْلِيٌ الذي يدخل الوليمة والمآدب ولم يدعى إليها وقد تطفل وهو منسوب إلى الطُفَيْلِيُّ المذكور والعرب تسمي الطُفَيْلِي الراشن والوارش وحكى ابن بري عن ابن خالويه الطُفَيْلِي والوارش والواغل والأرشم والزلال والقساس والنيتل والدّامر والدّامق والزّامج والعمظ واللعموظ والمكزم[1].

والطّفال والطِّفَالُ: الطين اليابس، يملنيه وطَفِيلٌ بفتح الطاء اسم جبل وقيل موضع، قال:

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مَجَنَةً

وهل بيدون لي شامة وطُفَيْلُ

ويقال الليث: التَطفِيلُ من كلام أهل العراق ويقالُ هو يَتَطَفَلْ من الأعراس وقال أبو طالب قولهم الطفَيْلِي. قال الأصمعي هو الذي يدخل على القوم من غير أن يدعوه مأخوذ من الطَفَلِ وهو إقبال الليل على النهار بظلمته[2].

يظهر التطفيل في صورة الشخص الداخل على القوم في شرائهم وأكلهم دون أن يدعى إليها فسمي طفيليٌّ لدخوله الوليمة والمأدب من غير دعوة.

---

[1]– محمد كرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منضور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المتوفي 711هـ، لسان العرب دار صلح، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ج8، مادة (ط ف ل)، ص166–167.

[2]– ابن منظور: لسان العرب، المرجع السابق، ص167.

4-2- إصطلاحا:

يظهر معنى التطفل اصطلاحاً في مايلي:

قال الأصلعي: الطفيلي: الداخل على القوم من غير أن يدعى مأخوذة من الطفل وهو إقبال اليل على النهار بظلمته، وأرادو أن أمره يظلم على القوم فلا يدرون من دعاه ولاكيف دخل عليهم.

وقولهم طفيلي منسوب إلى طفيلي رجل بالكوفة من بني غطفان، وكان يأتي الولائم من غير أن يدعي إليها وكان يقال له طفيلي، الأعراس أو العرائس وتسمى العرب أيضاً الطفيلي الوارش والرائش والذي يدخل على القوم في شرابهم ولم يدعى إليه: الواغل[1].

وقال أبو عبيدة: كان رجل من بني هلال يقال له طفيلي من بني ولاء إذا سمع بقوم عندهم دعوة أتاهم فأكل طعامهم فسمي كل من فعل ذلك به وروى ابن مسعود قائلاً: كان فينا رجل يقال له أبو شعيب وكان له غلام لحام فقال لغلامه اجعل لي طعاماً لعلي أدعوا النبي صلى الله عليه وسلم فدعى النبي صلى الله عليه وسلم خامس خمسة فتبعه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنك دعوتني خامس خمسة وإن هذا تبعنا فإن أدنت وإلا رجع قال بل أذن له».

والتطفيل سلوك يقوم على انتهاك الخصوصيات في المناسبات الإجتماعية القائمة على اصطناع المأكولات[2].

والطفيلي هو الشخص الذي يتعرض لطعام الأخرين من غير أن يدعى إليه، وهي كلمة مشتقة من الطفل وهو الظلمة لأن الفقير من العرب كان يحضر الطعام الذي لم يدع إليه مستتراً بالظلمة لكي لا يعرف[3].

---

[1]- الامام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، دار أعياء العلوم، بيروت، لبنان، ط 2، 1999، ص228.

[2]- ينظر: أبي بكر أحمد بن علي ثابت الخطيب البغدادي، "التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم"، دار ابن حزم، د ط، ص46.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص47.

والتطفل لا يقتصر على التطفل على الطعام فحسب، بل هناك نوع آخر من التطفل وهو ما يعرف بالفضول أو التطفل المعنوي والمقصود به التدخل في خصوصيات الأخرين وأمورهم الشخصية، وهذا النوع من الناس لا يكفون عن محاولة التعرف على ما يخص الآخرين، حتى وإن تحاول تجنبهم إلا أنهم لا يتوقفون عن الإلحاح الداخلي في ذاتهم، ولا يتركو الآخرين في شأنهم.

وفي هذا النوع من التطفل قد يسلك المتطفل سلوكا أشبه بالتجسس والتلصص وهو أمر محرم نهت عنه الشريعة الإسلامية وغالباً ما يتسبب هذا التطفل والفضول في مشاكل عديدة بين الناس، حيث تشاع الأسرار وتتناقل الخصوصيات، والمتطفل هو انسان غير سوي يهدف دوماً إلى التدخل بين الناس ومعرفة تفاصيل حياتهم.

وللمتطفل جولات في كل زمان ومكان وفي كل مجتمع والتطفل من الأمراض الخطيرة والعلل النفسية والمشتركة في كل مجتمع، فمثلا نجد بني نبهان قد أصابته سّنةٌ وهبت بالأموال، فخرج منهم رجل بعياله وأنزلهم وأوصاهم أن يكونوا قريبينن من الملك ليصيبهم من خيره طَمَعاً في المال والذهب، ثم إننا نجده قد مضى في طريقه إلا أن وجد شيخاً ومعه إبل فتطفل عليه إلا أن أصبح الإبل له فعاد إلى أهله به، واشترى بستاناً له مقابل بيعه الإبل[1].

يظهر لنا بأن التطفل من الظواهر الإجتماعية التي تنتشر في المجتمع، والتي تسبب الإزعاج للآخرين في حياتهم، والتطفل أيضاً هو مرض نفسي يصيب الإنسان غير السوي ويظهر ذلك من خلال تصرفاته وسلوكاته التي تطغى على شخصيته فتصبح شخصية مزعجة ينفر منها جميع الناس.

[1]– ينظر تقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد ابن حجة الحمودي، :ثمرات الأوراق"، الدار النموذجية، بيروت، لبنان د.ط، ص 174–176.

المبحث الثاني

مظاهر السخرية في كتاب التطفيل للبغدادي

1/ التعريف بالخطيب البغدادي وأهم مؤلفاته

2/ مضمون الكتاب

3/ مواضيعه وشخصياته

4/ أنواع المتطفلين وأسباب تطفلهم

5/ موقف المجتمع البغدادي من ظاهرة التطفيل

6/ أساليب التطفيل

7/ ظاهرة التطفيل في العصر العباسي

1/ التعريف بالخطيب البغدادي وأهم مؤلفاته:

هو أبو بكر أخمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ولد في غزية بالحجاز سنة 392هـ/1002م.

نشأ في درزيجان قرية كبيرة جنوب غربي بغداد، حيث كان أبوه يتولى الخطابة والإمامة في جامعها لمدة عشرين سنة، عهد والده به إلى هلال بن عبد الله الطيبي فأدبه وعلمه القرآن، وفي الحادية عشر من عمره تعلم الحديث على يد محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن زرقويه.

إستفاد الخطيب البغدادي من علوم شيوخ بغداد بشكل عام، وكذلك الوافدين إليها، واستزاده حديث أهل بغداد ثم رحل الخطيب البغدادي في طلب العلم في المدن، والقرى القريبة من مدينة بغداد كجرجرايا وعكبرا، ويعقوب والأنبار والنهروان ودرزيجان ثم الكوفة والبصرة، ثم توجه نحو الشرق إلى نيسابور،وبالطبع مر بالبلدان التي تقع على طريقها مثل: حلوان وأسدآباد وهمدان، وساوة والري وكذلك توجه نحو أصبهان، والدينور وجربادقان وزار أيضا دمشق مراراً، وزار أهم مدن الشام كصور وصيدا وحلب، ورحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج توفي في بغداد سنة 363هـ- 1071م[1].

مؤلفاته:

صنف الخطيب الغدادي قرابة مئة مصنف ونذكر منها:

1- ابطال النكاح بغير ولي: في جزء.

2- الإحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه والرد على الطاعنين بعظيم جهلهم عليه.

4- إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة.

5- أطراف الموطأ ذكر السيوطي في "تنوير الحوالك" صفحة10.

[1]- ابي بكر أحمد علي بن ثابت الخطيب البغدادي، التطفل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم، دار ابن حزم، الجفان والحماني للطباعة والنشر، د ط، ص 1-2.

6- بيان أهل الدرجات العلى.

7- بيان حكم المزيد في متصل الأسانيد.

8- البتين لأسماء المدلسين: في جزئين.

9- تخرج خطبة عائشة في الثناء على أبيها من روايات الخطيب عن شيوخه.

10- تخرج عوالي أحاديث مالك بن أنس منه نسخة في الظاهرية مجموع 3/101.

11- الشبيه والتوفيق على فضائل الخريف

12- حديث الإمام ضامن والمؤدن مؤتمن.

13- حديث عبد الرحمن بن سمرة وطرقة: في جزءين.

14- حديث: "نضّرَ الله أمرأ" سمع منّا حديثا.

15- روايات السنة من التابعين بعظهم عن بعض.

16- كشف الأسرار[1].

2/ مضمون الكتاب:

سمي الخطيب البغدادي كتابه "كتاب التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم"، وشمل مقدمة ذكر فيها مناسبة جمعه هذه الأخبار، وقام بذكر تعاريف لغوية بمعنى التطفيل، ثم عقد عناوين للحاكايات التي ساقها عن الطفيليين، وأورد الحكايات والأخبار، والأشعار بأسانيدها تعقبها أحاديثهم ببيان طرقها، وذكر إختلافاتها مما أدى إلى تكرار الخبر الواحد في عدة صفحات، وإن كان لا يتعدى بضعة أسطر.

[1]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص15-16.

كما أن إنتقد بعض الروايات مبينا زيفها، وأورد عدة حكايات، وكانت خاتمة الكتاب رسالة وجهت نصيحة إلى هذا الصنف من البشر، وتتراوح أخبار الكتاب بين الظراف والمخادعين، والمحتالين.

كما أفاد المدونة بما تطرق إليه مجموعة من الكتب، الباحثة في موضوع التطفيل، منها كتاب "العقد الفريد" لـ إبن عبده ربه، وكذلك "ثمرات الأوراق" لـ ابن حجة الحموي، وكذلك "زهر الآداب" للحصري القيرواني، وكذا كتاب" أخبار الأذكياء" لإبن الجوزي، والذي أورد فيه فصلاً عن الطفيليين، وتوجد منه نسخة في المكتبة التيمورية بالقاهرة.

ويمكن تقسيم الكتاب إلى أبواب بعناوينها وهي حسب المخطط الآتي:

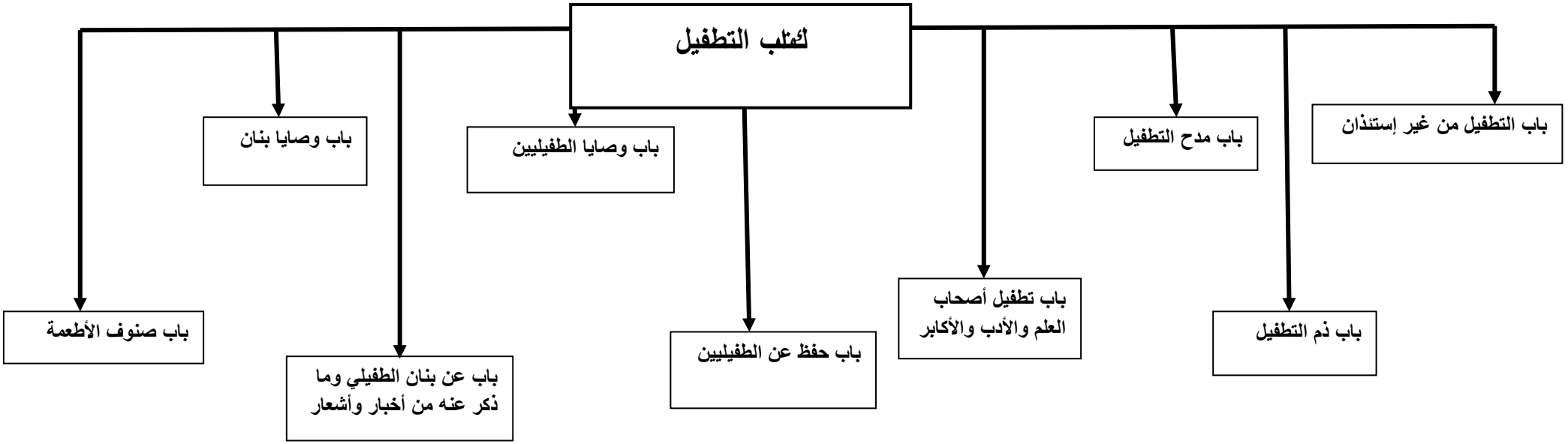
كتاب التطفيل
باب التطفيل من غير إستئذان
باب مدح التطفيل
باب ذم التطفيل
باب تطفيل أصحاب العلم والأدب والأكابر
باب حفظ عن الطفيليين
باب وصايا الطفيليين
باب عن بنان الطفيلي وما ذكر عنه من أخبار وأشعار
باب وصايا بنان
باب صنوف الأطعمة

3/ مواضيعه وشخصياته:

من خلال ما ذكره وأورده الخطيب البغدادي من أخبار عن الطفيليين، في كتابه التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم، ونواردر كلامهم وأشعارهم، يظهر لنا هناك تباين في شخصية المتطفل حسب كل خبر، نجد بأن المتطفل يتمتع بالمعرفة العامة فيجد حجته إذا ما سئل شعراً أونثراً أو قرآناً فيسكت خصمه، وهو ما يظهر تسلح الطفيلي بالمعرفة في خدمة سلوك التطفيل.

ومن أمثلة توظيف الأسلوب الطريف، والهزلي في كتاب التطفيل للبغدادي نجد قصة الطفيلي الذي خرج مع نفرٍ في سفر، فعزموا أن يخْرِجَ كل واحدٍ شيئاً للنفقة، فقال: كل واحد على كدا

فلما بلغوا إلى الطفيلي قال: على وسكت...

فقالوا: فإيش عليك؟

قال: لعنة الله.

فضحكوا منه وأعفوه من دفع النفقة، وحملوه طول سفرهم.

يظهر لنا من خلال هذا المثال بأن ضحك النفر من الطفيليين يعني قبولهم له، فالضحك هنا فرج الأزنة على الطفيلي واستطاع التخلص من دفع النفقة.

فالطفيلي كلما كان ظريفًا ويتمتع بخفة ظل، وروح مرحة كلما استطاع التأثير في من حوله واستمالتهم،ويجعل وجوده مقبولاً في أي مكان، وإن كان وجوده بينهم من غير دعوة ويتحول من طفيلي إلى مدعو، فالضحك يحل الأزمة بين الطفيلي، وصاحب الدار أو العرس أو الوليمة.

كما نجد بعض الشخصيات من المتطفلين تتميز بالذكاء، مثل شخصية أبو هريرة الذي كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليشبع بطنه فقال: كنت ألزم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لشبع بطني حين لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير، ولا يخدمني فلان ولا فلانة وألصق بطني بالحصباء، واستقرئ الرّجل الآية وهي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وقال أيضاً أصابني جهد شديد، فلقى عمر بن الخطاب فاستقرأه اية من كتاب الله، فدخل داره وفتحها له، ثم مشي غير بعيد فخرر وجهه من الجهد،فادا برسول الله صلئ الله عليه وسلم قائم على رأسه فقال: لا يا أبا هريرة ! فقال: لبيك يارسول الله وسعديك، فأخذه بيده وأقامه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وعرف الذي به فأمر له بعسٍ من لبن فشرب ثم قال: (عد يا أباهريرة)، فعاد وشرب حتى استوى بطنه.

ومن الشخصيات التي ذكرها البغدادي أيضاً، المتطفلين المحتالين حيث يحتالون بتطفلهم للحصول على ما يريدونه، من طعام وأشياء أخرى ومن ذلك طفيلي قد سئل مرة: ويلك ! تأكل حراماً؟! فأجاب: ما أكلت قطّ إلا حلالاً. قلت: وكيف ذلك؟ قال: لأنني إذا دخلت داراً لقوم قصدت باب النساء، فيقولون: هاهنا هاهنا. فقولهم هاهنا هو دعوة، فما آكل إلا حلالاً.

حيث أنشد طفيليٌ قائلاً:[1]

لذة التطفل دُومي وأقيمي لا تريمي

أنت تشفين بسقامي وتجلين غمومي

ياصفي النفس ياخيـ ر جليس ولديم

قل إذا ما جُبت قوماً زائراً قول حكيم

قد أتيناكم بجنس الظـ ن والودّ القديم

[1]– ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص80.

ما تخاف الرّد والحرْ مان إلا من لئيم

يكشف لنا أيضا كتاب التطفيل للبغدادي عن شخصية المتطفل، هي شخصية ملمة بالمعرفة العامة التي تؤهله للرد على ما يتعرض له، فنجده ملما بأخبار الحديث وعلومه وبالآيات القرآنية، وبالشعراء وأشعارهم، وأخبار السالفين، ويضرب الأمثال ويستشهد بالحكم والأقوال المؤثورة، فنجدهم يستشهدون بالقرآن كثيراً، ويجعلون من الاقتباسات وسيلة تساعدهم في الحصول الذي هو غرضهم الأول، والدليل على ذلك ما قيل على لسان طفيلي «ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا».

ونجد في قصة طفيلي سألوه ما تحفظ من القرآن؟ قال: قال قوله تعالى: «ربنا آتنا غذائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيبا».

ومن ذلك أيضا قصة بِنَانْ الذي ذهب إلى وليمة، فأغلق الباب دونه، فاكترى سلماً، ووضعه على حائط الرجل، وتسوّر فأشرف على عيال الرجل وبناته، فقال له الرجل: ياهذا ! أما تخاف الله؟ رأيت أهلي وبناتي ! فقال: ياشيخ ! (لقد علمت مالنا في بناتك من حقٍ وإنك لتعلم مانريد). سورة هود الآية79.

وعن توظيف الطفيليين للحديث نذكر قصة سليمان المنقري، قال: كنت في دعوة لبعض أصحابنا، وفي القوم طفيلي، فجعل بعض القوم ينظرون إليه، فقال الطفيلي: يافتى ! سبحان الله، ألم ينه النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يتبع الرجل بصره لقمة أخيه؟ قال: فأقبل عليّ فقال: أتعرف هذا؟ فقلت: لا والله، فخرجت، فلم أزل أسأل عنه.[1]

وقد ذكر البغدادي أشخاصاً من المتطفلين كان الحب والغرام والعشق، هو دافعهم إلى التطفيل، فقد كانوا يتطفلون من أجل جارية يرونها، فيسعون لوصول إليها.

[1]- ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص116-117.

ومن ذلك قصة طفيلي من الأكابر في إحدى المرات ضجر من دار الخليفة، فقرر الخروج إلى الصحراء من أجل الترويح عن النفس، فطاف ما بدا له من الصحراء إلى أن حمي النهار فذهب إلى شارع بالمخرَّم، به فناء فاستراح فيه، وإذا بخادم جاء يقود حماراً، وعليه جارية حسناء، فحسبها مغنية، فدخل الدار التي كان واقفاً عليها، وقد تعلق قلبه بها، ثم رأى رجلين مقبلين وهما شابان جميلان، لهما هيبة تدل على قدرهما، فأذن لهما ودخلا الدار، فحمله ما حصل له من حب الجارية، فنزل معهما ودخل، فضنا بأن صاحب البت هو الذي دعاه، وأكلوا وشربوا، ثم خرجت الجارية ومعها عود، فغنت غناءاً صالحاً، وقد سئل عنه صاحب المنزل الفتين فأخبراه أنهما يعرفانه ثم إنه أخذ عود الجارية وأطرب به رغبة منها فأعجبوا به حتى عرض عليه صاحب المنزل أن يقيم عنده، ويعطيه الجارية والحمار فقيل حتى أكمل ثلاثين يوماً فعاد منزله ومعه الجارية والحمار والخادم.[1]

ونجدالخطيب البغدادي في كتابه التطفيل، قد عقد عناوين الحكايات التي ساقها عن الطفيليين، وينحصر كل عنوان على ذكر فكرة معينة.

حيث ذكر عنواناً عن مكان ما يسمى به الطفيلي في الجاهلية، وتعين فيه حديث على بن حزم وزاد شعدان، قال سفيان أبو زعراء عن أبي الأحوص، قال عبد الله: كنا ندعوا الامعة في الجاهلية، الرجل الذي يدعى إلى الطعام فيذهب بالآخر معه، لم يدع.

وباب في من دعي إلى الطعام فلم يجب الدعوة، ونجد فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الوليمة حق، فمن لم يجب فقد عصى الله ورسوله، ومن دخل غير دعوة فقد دخل سارقاً، وخرج معيزاً».

ثم ذكر باب ذمَّ فيه التطفيل ونجد فيه خبراً أورده الجاحظ، في عشق جارية، فكتب إليها حبيبها يوماً لتبعث إليه طعاماً وقد كرّر هذا السلوك مراراً حتى ردت عليه: «رأينا الحب

[1]- ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 94-95.

يكون في القلب، فإذا فشا دبَّ في المفاصل، وحبك مايزول من المعدة، وأدرك طفيلياً تتأكل بالعشق».

ثم تلاه باب في مدح التطفيل، حيث قال فيه الأصمعي: «سمع الأعرابي قوماً يذكرون فقال: من بنو طفيلْ هؤلاء؟ فقيل: قوم يأتون الطعام من غير أن يدعو إليه، فقال: هؤلاء والله قومٌ كرامْ».

وبعده أورد باب التطفل أهل العلم والأكابر، حيث ذكرت فيه قصة الأمير الذي أمر موكليه بجمع عشرة زنادقة، وكيف تسلّلَ الطفيلي في وسطهم ظنه ذاهبين إلى وليمة، وكيف كان رد فعل الأمير وبعدها ذكر من عرص بالتطفيل ولم يصرح، حيث ذكرت فيه مجموعة من الطفيليين على القوم ومشاركتهم الوليمة باحترافية، ومنهم شخصية بنان.

ثم ذكر بعض المحفوظ عن الطفيليين في محاوراتهم وأجوبتهم، وما أولردوه في مناظراتهم وجاء فيه أقوال وأشعار لفئة طفيلية، وأحاديث نبوية، وكذا بعض وصايا الطفيليين وتحدقهم لدخول الأعراس، والولائم، وهي نصائح قدمها الطفيليون لغيرهم بذكاء.

وإلى جانب ذالك نجده قد ذكر بعضاً من أشعارالطفيليين،إضافة إلى أخبار بنان ووصاياه وأورد فيه وصيته بنان، لأحد الطفيليين بتقديم الوقت وعزم الهمة، وكذا في تخير مواضع الجلوس في الولائم.

وأخيراً ما قيل في صنوف الأطعمة وأنواع الأكل، حيث جاء فيها أقوال بنان للأطعمة وتحدقه الجلوس في الموائد.

يظهر لنا في كتاب التطفيل للبغدادي بأن شخصيات الكتاب قد تعددت صفاتها، وشملت طبقات المجتمع المختلفة، فمنهم من إمتهن التطفيل لمتعة، ومنهم من تطفل لحاجة، وأما

عن مواضيع الكتاب فقد صيغت في أبواب، وعناوين تحمل أخباراً عن الشخصيات التي ذكرت في الكتاب.

4/ أنواع المتطفلين وأسباب تطفلهم:

لقد جاء في كتاب التطفيل للخطيب البغدادي، وكذلك في كتاب أخبار الأذكياء لإبن الجوزي أنواعاً للمتطفلين، حيث ذكر أنواعاً لهم، فقد كان أكثرهم كبار العقل، والجاه والنسب والحسب والعادي السواء صحابة أو بائع أو متصنع.

إذ نجد كل واحد منهما قد أورد قصصاً للطفيلين الذين يدخلون الولائم من غير أن يدعوا إليها، ليأكل ويشبع في الأخير.

ونجد أشعب من أشهر الطفيليين المحتالين يقول:

ألا أخبرت أخْبَاراً أتت في زمن الشدة

وكان الحب في القلب فصار الحب في المعدة.[1]

كما نجد نوعاً آخر من المتطفلين، هم أصحاب العشق والغرام وغالبا ما تنتهي علاقتها بالقطيعة ، إذ لم ترقد بالطعام كما حصل مع أبي القمام، الذي كان يعشق جارية ويحاول أن يستغلها في اصطناع الطعام، وإرساله إليه، فيعث إليها أن إخواناً لي قد زاروني فابعثي لي برموس، حتى نتغذى ونصطبح على ذكرك ففعلت.

فلما كان في اليوم التالي بعث إليها: أنا لم نفترق فابعثي إلى سدبوسكا حتى تصطبح اليوم على ذكرك، وفي اليوم الثالث بعث إليها أن أصحابي مقيمون فابعثي إلي بقلية جوزية شهية، حتى نأكلها، ونصطبح على ذكرك فقالت لرسوله:

[1]– ينظر: الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ص80–95–120.

إني رأيت الحب يحل في القلب، ويغيض على الأحشاء، والكبد وإن حب صاحبي هذا ليس يجاوز المعدة.[1]

إذ نجد أن هذا النوع من العشاق يختص بأصحاب السلطة، والقادة حيث نجد قصة المأمون الذي أمر جنوده بإحضار، وجمع عشرة زنادقة من أهل البصرة ففعلوا، وقد أبصرهم طفيلي فقال ما إجتمعوا إلا لصنيع، فانسل في وسطهم فمضى بهم الموكلون حتى وصلوا إلى زورق قد صنع لهم فدخلوه، فقال الطفيلي إذن هي نزهة وصعد معهم، وقد قيد وقيدوا معهم الطفيلي، وسير بهم إلى بغداد حتى دخلوا إلى المؤمون وبدأ يسميهم الواحد تلوى الأخر ويضرب رقابهم، حتى وصل إلى الطفيلي، وقال ما هذا؟ فقالوا والله ما ندري غير أن وجدناه مع القوم فجئنا به، فقال المأمون: ما قصتك ويلك؟ قال: يا أمير المؤمنين إمرأته طالق إن كان يعرف من أقوالهم شيئاً، ولا يعرف إلا الله ومحمداً النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما رجل رأيتهم مجتمعين فضننت صنيعاً يغدون إليه، فضحك أمير المؤمنين، وقال يؤدب.

وقد كان ابراهيم ابن المهدي قائماً على رأس المؤمنون، وقد قص عليه قصته الطفيلية بعدما أذن له، فروى له أنه دخل متطفل على تاجر كان يقيم وليمة، وكأنه منهم، وقد طرأ بهم من شعره حتى اشتهر وافيه وأكرموه، ومادار بينه وبين صاحب البيت من أحاديث وكيف علم صاحب البيت سبب دخوله الوليمة الطعام وقصة الكف والمعصم، وأنه قد نال الطعام أما الكف، والمعصم فليس بعد، فأخرج له جواريه ولم تكن أي واحدة منهم حتى أخرج له أخته بعد ما أدركها فزوجها أياه، فترك المؤمون الطفيلي.[2]

ولا ننسى كذلك نوعاً من الطفيلين العادلين الأذكياء كأبا هريرة مثلاً، والذي سئل رجل عن الآيات لأنه كان يعلم بأنه أعلم بها منه فكان كلما سئله يغدو به إلى بيته، ويأمر زوجته بإحضار الطعام.

---

[1]- ينظر: ابن الجوزي، أخبار الظراف والمتماجنين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، لبنان، 1997م، ص26.

[2]- ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص75-138-35.

وكانت هناك شيوخ طفيلية من الصنف المخادع، إذا كان مالك هالك شيخ نزل قريش، إذا جاء أبي عبد الله محمد ابن ابراهيم ابن إسحاق، ومحمد ابن براهيم جالس على بابه قد رش الطريق، وكان له عرس يوم الأحد، فاستأذنه بالدخول إلى داره، فأذن له فدخل، وأكل وأخذ الطعام لصبيانه، حيث نجد طفيلي قد قال: خير البقاع ثلاثة: دكان الرواس، الشواء، والهراس.

كما نجد قصة أخرى لبنان الطفيلي، والذي مر بعرس فأراد الدخول فلم يقدر فذهب إلى بقال، فوضع خاتمه عنده على عشرة أقداح علاكية، وجاء إلى باب العرس، فقال: يا بواب افتح لي، فقال له البواب من أنت؟ قال: أراك ليس تعرفني ! أنا الذي بعثوني أشتري لهم الأقداح، ففتح له، فدخل، فأكل، وشرب مع القوم، فلما فرغ أحد الأقداح، ونادى البواب، افتح لي، يريدون ناصحية، حتى أرد هذه، فخرج، فردها إلى البقال، وأخذ خاتمه.

حيث قال الطفيلي:

لذة التطفيل ذومي وأقيمي لا تريمي

أنت تشقين عليلي وتسلين غمومي. [1]

وننتهي بذكر نوع آخر ألا وهو طفيل فقير طريف الذي لجأ إلى التطفيل كوسيلة للحد من الجوع لإشباع بطنه، فنجد في كتاب ثمرات الأوراق قصة الفتى من ذوي النعم قعد به زمانه وكانت له جارية حسناء محسنة في الغناء، وقد اشتد بهما الحال في عدم ما يقتاتان، فيقال لها أن الموت أهون من بيعها، ثم أخبرها أن رأت ما يحسن إليها فستفرح بما لعله يصير إليه من الثمن وتبادل عشرة رؤوس من الخيل، وعشرة رؤوس من الرقيق فرضي بذلك، وأمر الأمير بإدخال الجارية إلى الحرم فأمسكت بجانب الستر، وبكيت وقالت:

[1]– ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص117–79–80.

هنيئا لك المال الذي قد أفدته ولم يبقى في كف غير التكفر

أقول لنفسي وهي في كربتها أقلي قد بان الحبيب أو أكثري

إذا لم يكن للأمر عندك موضع ولم تجدي بداً من الصبر فاصبري.[1]

لقد ظهر التطفيل عند أصناف من الناس إذلا تقتصر على الفقير، الذي يكون في أمس الحاجة للطعام فقط، بل تعدت وشملت كذلك الأمراء، والأكابر، والأشراف، وأهل العلم والأدب رغبة في أنثى يراها فيحتال عليها فيشبع بطنه.

5/موقف المجتمع البغدادي من ظاهرة التطفل:

لقد كتب الخطيب البغدادي في كتابه هذا: «التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم» موقف المجتمع البغدادي حول ظاهرة التطفيل، ومدى دوره من حيث التبلور والتطور.

فمن ناحية التبلور نجد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة قد ألملوا بأحاديث ذمت هذه الظاهرة فنجد صلى اله عليه وسلم قال في هذا «من دعي فلم يُجب فقد عصى الله ورسوله، ومن دخل على غير دعوة فقد دخل سارقاً وخرج مغيراً»[2].

وقد قال رجل من حكماء لبنية: اجتنبوا ثماني خصال فمن تعاطى منكم شيئاً منهن فأهين فلا يلومن إلا نفسه، المحدث لمن ينصتله، والمداخل نفسه في سر بين إثنين لم يدخلاه فيه والمجالس المجلس لا يستحقه، وأتى الدعوة لم يدعى إليها، والملتمس الفضل من أيدي اللئام، والمعترض للخير من يدعوه، والمتكلف مالا يعنيه، والمتحمق في الدّالة.

---

[1]– ينظر: أحمد عواني، السرد والحجاج في أخبار الطفيليين، دار التنوير لنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2015، ص159–160.

[2]– ينظر: كتاب الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص32.

فظاهرة التطفيل منبوذة، ويعتبر صاحبه فاسق وسارق، مذمومُ، وهذا ما أثبته عمر بن الخطاب حين قال: ثمانية رهط إن أهينوا فلا يلومن إلا أنفسهم الآتي المائدة لم يدع إليها والمعرض لفضل النيم.

حيث قال فيهم شاعر:

لو طبخَت قدرُ بمطهورةٍ أوفى ذُرى قصيرٍ بأقصى الثغُورْ

وكنت بالصين لواقيتها ياعالم الغيْب بما في القُدورْ. [1]

وقد هجا ابن الزمكدم أبا الفضائل ويرميه بالتطفيل فقال شعراً:

مُطفَّل أطفل من ذبَابٍ على طعامٍ وعلى شرابِ

لقُبّ طنزا أشرف الألقاب أدور بالموصل من دولابِ

يمرُ مرا الريح والسحاب ينزل تطفيلاً بباب باب

نزول شيب لاح في شباب يدخل بالحيلة في الأنقاب

مكابرا يناسب كالحباب لا يفرق الردّ من البواب

وإن له أغلظ في الخطاب له إنقضاض سورة العقاب

على القلايا وعلى الجواذب يحمل حملات أبي تراب

في يوم صفين وفي الأحزاب بالدي منه أثر الذئاب

بمغثه مغثة ليث الغاب بكفه وظفره والناب

[1]– ينظر: تقي الدين أبي بكر بن علي محمد ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، 2005، ص228.

فغامرا الميدة في خراب وصاحب المنزل في عذاب

لسوء ما يأتي من الآداب.[1]

وبهذا نجد التطفيل منبوذ حاول بعظهم تبلوره والحد من إنتشاره فعائشة رضي الله عنها صرحت بذلك في قوله صلى الله عليه وسلم : «أإن من دخل القوم الطعام لم يدع إليه فأكل دخل فاسقاً وأكل ما لا يحل».[2]

أما من الناحية الثانية والتي فيها مدح، نجد المجتمع قد طور هذه الظاهرة، وشجع على كيفية ممارستها، ومن أمثلة ذلك أو حجج هذا نجد أن بعظهم يوصى الأخر بالتحايل والخداع في المجلس، فنجد بنان قد أوصى رجلاً قال: إذا دعيت إلى وليمة إن شاء الله فإياك ثم إياك أن تتأخر إلى آخر الوقت، وتتشاغل وتسترخي وتتثاقل ونقول: الساعة وإلى ساعة، وإيش فاتني؟ وبعدما جاء أحد ومالي أكون من السُبق؟ ولم أكن أنا أول الناس؟ ومثل هذا وأشباهه فيخطئ حظك، ويسيء إختيارك، ويضيع يومك وهذا فعال الحمقى القليلي الحزم، وإذا دعاك صديق لك فاستخر الله، وكن من السبق وأول من يوافي واقبل وصيتي فإنك ترشد وتبين الصلاح إن شاء الله.

فنجد بنان المتحايل قد أوصى الرجل بالتزام المواعيد، وكذا مصاحبة دوي الطبقة المهمة ليجد أمنه، وطمأنينته وليسمع كل حديث حسن وخبر ظريف، قاعد في أول مائدة ليكون موضعه مستور، وصرح بأنها دعوة مغفول عنها.

كما نجده قد أوصى في تحيز المزاضع فإذا ما دعاك صديق لك فاقعد يمينة البيت، فإنك ترى كل ما تحب، واسبقهم إليه فتأكل ألذ ما طاب وتشرب، وترتوي وتتبختر وأنت مسرور.[3]

---

[1]- ينظر كتاب الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص73.

[2]- ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، دار الفكر اللبناني، لبنان، ط1، سنة 1990، ص101.

[3]- ينظر: كتاب الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص149-150-151-152.

ظهر التطفيل في المجتمع بين مادح له مثل بنان من خلال وصاياه، وذام له مثل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من خلا أحاديث دينية.

6/ أساليب التطفيل:

ان المتمعن في تراث الأدب العربي يلحظ بأنه لا يحلوا من الحديث عن ظاهرة التطفيل وعن الطفيليين وأخبارهم ونوادرهم وطرائفهم وأشعارهم، فقد شغلوا مساحة كبيرة من تراثنا ، وان القراءة الدقيقة لأخبار الطفيليين يكشف عن جانب بلاغي حجاجي، حيث يرتكز خبر الطفيلين على مكونين رئسيين هما:

فأما عن المكون الأول هو السرد حيث يبنى الخبر على حكاية بسيطة تدور حول طفيلي ويمثل الطفيلي الشخصية المحورية ولكن لن ينشغل المخبر، أو الراوي بوصف الطفيلي وتصويره خارجياً، بل سيركز على قوله وفعله فهما معاً بمثابة البؤرة المركزية للخبر المسرود[1].

فلا بأس بذكر ما قاله محمد القاضي أن الأخبا اللعربية تسير في سردها على غرار الأجناس القديمة، والشبيهة حيث تنزع إلى تقديم الوظائف على الشخصيات، فما يقال أهم من القائل، وما يحدث أهم من الفاعل، ومن ثم ستكون صورة الطفيلي في ذهن المتلقى من خلال بلاغته، وقوله وحيلته وأفعاله: فعن طريقهما ينتصر الطفيلي على معظم الشخصيات التي تدخل معه في صراع.[2]

[1]– ينظر: أحمد علواني: السرد والحجاج في أخبار الطفيليين، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2015، ص138.

[2]– ينظر: محمد القاضي: "الخبر في السرد العربي" (بحث في السردية العربية)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ط1، 1998، ص55.

وأبرز هذه الشخصيات صاحب المنزل، الذي يحاول منعه من الدخول فيحتال عليه الطفيلي، ويدخل المنزل فيظفر بالأكل من طعام صاحب المنزل[1].

وأما عن المكون الثاني للخبر، فهو الحجاج حيث تتوفر في السرد مقومات الحجاج، ففي السرد نجد المتكلم والمخاطب، والحجاج يعتمد على حضور الشخصيتين معاً: شخصية المتكلم وهو السارد، وشخصية المخاطب أي المسرود له أو المتلقي، وتدور بين الشخصيتين عملية خطابية حجاجية بهدف اقناع أحدهما للآخر.

ويتجلى الحجاج في أقوال الطفيليين ووصياهم من خلال الحوار الذي يدور بين الطفيلي وإحدى الشخصيات التي تعيب تطفله، وتحاول منعه من الدخول إلى المنزل أو مكان الطعام، في أقوال وأخبار الطفيليين ووصاياهم من خلال الحوار الذي يدور بين الطفيلي واحدى الشخصيات التي تعيب تطفله، أو تحاول منعه من الدخول إلى المنزل، أو مكان الطعام، ومن هنا يتحاور الطفيلي مع الشخصية التي تمنعه من الدخول أو التي تنتقد سلوكه، فيعرض عليه حجته وأدلته وبراهنيته، فالطفيلي يتميز ببلاغته وقدرته على الحجاج والاقناع، وبهذا يحقق الانتصار على من منعه من الدخول أو من نقد تطفله على طعام غيره[2].

ويعد كتاب التطفيل "للخطيب البغدادي" أبرز الكتب التي وصلت إلينا عن التطفيل والطفيليين، حيث جمع الخطيب البغدادي في هذا الكتاب أخبار الطفيليين التي جاءت ووردت متناثرة في كتب التراث.

ونلاحظ منذ البداية حرص الخطيب البغدادي على ذكر مصادر أخباره التي أوردها، فنجده يعرض سلسلة السند التي يحيل عليها رواية الخبر، وفي كثير من الأحيان يقوم برواية

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص55.

[2]- ينظر: أحمد علواني، المرجع السابق، ص139-140.

الحديث الواحد أكثر من مرة وبأكثر من سند، من أجل التأكد على صدقه، وأمانته في سرد وعرض الخبر.[1]

ونجد الكاتب يمارس طرائقه الاقناعية منذ البداية، فجملة (أخبرنا فلان) وما يشبهها وعلى شاكلتها من جمل مفتاحية تؤنس مرجعية توثيقية للخبر، وفي هذه الجمل مقدمات تأسيسية يحرص عليها الكاتب، حيث تتجسد فيها بلاغته الحجاجية التي تظهر للقارئ أو المتلقى.

فالكاتب يحرص على تقديم الخبر المسرود، أو المروي بسند، لتأكيد صحته، وبهذه الطريقة يدفع الخطيب البغدادي عنه تهمة وضع وتأليف الأخبار، وتلفيق الأحداث، وبهذا تكتمل بلاغة الكاتب فينجو من حجاجية المتلقى، الذي ربما قد يشك في صحة الخبر، إذا ورد خالياً من السند.

وقد جمع الخطيب البغدادي في كتابه التطفيل أخباراً عن الطفيليين جاءت موثقة بسند وهذا ما يؤكد صحتها وحقيقية واقعيتها، كما أن شخصياتها قد تكون حقيقية، لما حملته من أسماء لشخصيات مشهورة لها وجودها في التاريخ، وزمن الخبر هو زمن واقعي يرتبط بحياة الشخصيات المذكورة، إضافة إلى أن الأماكن لها أيضاً مرجعية واقعية، لأنه ذكر بلداناً كثيرة.[2]

ومن خلال ما ورد إلينا، فإن البغدادي لم يكتب في موضوعات فكاهية، مثل التطفيل وأخبار الطفيليين، من أجل التسلية فقط، بل عرف بالتأليف في موضوعات جادة وعلمية عديدة، يتعلق معظمها بالتاريخ والترجمة والحديث وعلومه، لذا فإن الخطيب البغدادي لم يؤلف كتاب التطفيل من تلقاء نفسه، بل استجابة لطلب وزير الخليفة العباسي، فالوزير هو الذي أمر الخطيب وهو استجاب ثم نفذ، وقد صرح في مقدمته بأن التأليف جاء تنفيذاً لأمر من سلطة من عليا.

---

[1]- المرجع نفسه، ص140.

[2]- ينظر الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص115.

فعندما وصل إلى مسمع الوزير المحاورة التي جرت بين نصرٍ بن علي الجهضمي وجار له طفيلي، أعجبته المحاورة، فطلب من الخطيب البغدادي أن يروى له الخبر وأن يدونه فالوزير لم يكن يريد حكاية الخبر شفاهية، بل كان يرغب في الوقوف عليه بلقطة، والإطلاع عليه من وقت لآخر، كما كان حرص الوزير على تدوين الخبر يعكس قيمته وما تضمنه من جوانب حجاجية عقلية، فقد كان الوزير يريد أن يطلع على الخبر، ويتأمل في صياغته العبارات وينظر في الحجج التي أوردها وأدلى بها الخصمان في المحاورة، وكيف حاور الطفيلي نصراً بن علي الجهضمي وكانت الغلبة له.[1]

فذكر مضمون هذه المحاورة وما جاء فيها الآتي: بأن نصراً بن علي الجهضمي له جار طفيلي من أحسن الناس منظراً وأطيبهم رائحةً، وأجملهم لباساً وكان إذا دعي نصراً إلى دعوة يتبعه الطفيلي إلى دعوة، قرر نصراً أن يفضحه، وعندما وصلوا إلى مكان الدعوة ودخلوا وحضر الطعام، كان الطفيلي جالساً مع نصر على المائدة، فلما مدّ الطفيلي يده وشرع يتناول الطعام، قال له نصراً: بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «من دخل دار قومٍ بغير إذنهم فأكل طعامهم ودخل سارقاً وخرج معيزاً»[2].

فتفطن الطفيلي إلى حيلة نصرٍ ، فأسرع بالرد عليه قائلا: أنفت لك والله أبا عمرو من هذا الكلام، فإنه ما من أحد من الجماعة إلا وظن بأنك تقصده هو دون غيره، فالطفيلي رغم أنه يعلم بأن نصراً يقصده هو دون غيره، إلا أنه جعل الجميع يضنون بأنهم مقصودون بالحديث، وهو بهذا يشكك القوم حول نصرٍ وحديثه، والطفيلي يعلم بأن وجوده في وضعية الحجاج أمر صعب، لذلك فهو ينطوي تحت لواء الجماعة، ويظهر في نظرهم باسم الناطق

[1]- أحمد علواني، المرجع السابق، ص141.

[2]- ينظر الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص126.

والمدافع عن الجماعة، وعن قيمها ومن يدفع التعريض والهجاء عنهم، في حين يظهر نصراً بعجزه وقلة حيلته.[1]

إن هذا المثال يوضح لنا ذكاء الطفيليين باستعمالهم أساليب وحيل تؤدي إلى إقناع من يخاطبونهم، فالطفيلي نجده لا يرضخ لفعل المنع من الدخول إلى الولائم، أو المنزل فيلجأ إلى ابتكار حيل والتفكير في طرق من أجل الإقناع الحارس، أو صاحب المنزل بالدخول.

والطفيلي لا يذهب إلى مكان الوليمة أو الدعوة دون تخطيط مسبق، فهو يتحرى ويجمع المعلومات التي تفيده في مهمته، وينكسر حاجز المنع كلما كان الطفيلي طريفاً، وتختلف طرق الاقناع من خبر لآخر، فالطفيلي يعتمد في أسلوبه على أدلة وبراهين منطقية وواقعية وثقافية ودينية من أجل الاقناع، كما يلعب السؤال دوراً مهماً في فتح المجال أمام الطفيلي فالسؤال يقيم علاقة حجاجية بين المتكلم والمخاطب، وفي أخبار الطفيليين أيضا نلحظ أن صاحب الدار يقوم بسؤال الطفيلي، عن رأيه في الطعام فيغتنم الطفيلي الفرصة، ويطلب من صاحب المنزل أن يقدم له الطعام لكي يظهر لنا من خلال كتاب التطفيل للبغدادي أن أخبار الطفيليين لا تنطوي على الضحك والهزل فحسب، بل توضح لنا بلاغة أساليبهم وكيف يسعى الطفيلي إلى إقناع من يخاطبه أو يمنعه من الدخول إلى الدار أو الوليمة، باستخدامه طرق وحيل واعتماده على أدلة وبراهين حجاجية مقنعة، حتى ينتصر على من يرده، كما يبين لنا بأن التطفيل ليوسية حصول على الطعام فحسب، بل هو وسيلة للتمرد على المجتمع الذي يجعل منه متطفلاً.

[1]– ينظر : أحمد علواني:، المصدر السابق، ص152.

7- ظاهرة التطفيل في العصر العباسي:

لقد ذكر الخطيب البغدادي أن ظاهرة التطفيل ظاهرة اجتماعية كغيره، أمثال ابن الجوزي وابن حجة الحموي فنجد الطفيلي يلزم الخليفة أو الولي أو الأمير، يحضر المجالس المهمة، ويشهد الندوات إذ يلبسون الملابس الفاخرة، ويتطيبون بالعطور فكانت هناك طبقتين طبقة حاكمة يسسطر عليها الأسياد والأمراء وأصحاب السلطة وطبقة أخرى محكومة سميت بالعامة أو سواء الناس، وقد اضطر عامة الناس إلى إعلان الثورات أكثر من مرة.

وإن هذه الظاهرة عيشت في العصر العباسي حيث ظهرت قصصاً في ذلك العصر نتيجة لتلك الأوضاع حيث قيل في كتاب الخطيب البغدادي: «وحين لا يجد المرء ما يقيه عالة الجوع، يشم رائحة الطعام تفتح من قدور الكرام لا يستطيع أن يكبح جماع معدته، أو يسكن قرقرة أمعائه الخاوية فيدخل إلى الوليمة مع الداخلين ولا يفكر في آداب الدعوة ولا يلتزم بالأعراف الاجتماعية، التي تأبى عليه الحضور دون سابق معرفة بالداعي»[1].

كما ذكر أن ألذ الأطعمة وأطيب الشراب ليس من حق الأغنياء وحدهم دون أولئك الفقراء المعدومين، وهناك قصة وردت في كتاب البغدادي للخليفة الذي كلف موكليه بإحضار عشرة زنادقة من البصرة، حيث ذكر في القصة الطفيلي الذي تسلل في وسطهم إلى أن أدرك موقفه أمام المأمون بعدما قطعت رؤوس الزنادقة فقال الطفيلي للخليفة عن سبب تطفله وهي التسلل لحضور وليمة، فضحك المؤمون وقال: يؤدب على فرط تطفله، ومخاطرته لنفسه.[2]

[1]- ينظر ركان الصفدي: "الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع ق5هـ" ، الهيئة العامة السورية للكتابة، وزارة الثقافة، سوريا، د-ط، دمشق، سنة 2001م، ص100-102-106.

[2]- ينظر: كتاب الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص83-79-116.

فنجد ذكاء الطفيليين ذوي الطبقة المحكومة في اتخاذهم وسيلة للتطفل، فيوصي بعضهم البعض لكي لا يتأثروا بالطعام، فيضيع عنهم جزء من الأكل، فيتخذون من التظرف والمفاكهة لونا للتعبير عن قصدهم بأن يبتعدوا عن كل ما ينافسه على الطعام اللذيذ.

وتجدهم أذكياء في عدم مصاحبتهم لشرهين الذين يسولون على الطعام ولا يبالون لمن يأكل معهم على المائدة يقول طفيلي: «لا تنادم أحداً، فإن كنت لا بد فاعلاً فنادم من لا يستأثر عليك بالمخ ولا يتهب بيضة البقلية، ولا يلتقم جلد الدجاجة، ولا يختطف كلية الجدي، ولا يزدرد قانصة الكركي، ولا يقتطع شرة الشصان، ولا يعرض لعيون الرأس، ولا يستولى على صدر الدراج، ولا يتناول إلا ما بين يديه، ولا يلاحظ ما بين يدي غيره، حتى وإن أتى بجلدي شواء، كشح كل شيءعليه لا يرحم داسن لضعفه، ولا يرق على حدث لحدة شهوته، ولا ينظر للأعيال ولا يبالي كيف دارت بهم الحال»[1].

لهذا فالطفيلي ضعيف لجأ إلى التحايل في الأساليب لدخول الولائم والأعراس، فنجده يلازم الخليفة أو الوالي أو الأمير، وهم من ذوي الطبقة الحاكمة، إذ يحضر مهم المجالس والندوات ونجدهم يلبسون ملابس فاخرة وتجدهم يتطيبون بالرائحة، حيث قال أحد الطفيليين: «إذا دلت عرساً فلا تلتفت تلفت المريب، وتخبر المجالس، فإذا كان العرس كثير الزحام قامر وآته، ولا تنظر في عيون أهل المرأة، ولا في عيون أهل الرجل فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء ويظن أنك من هؤلاء، فإن كان البواب غليضاً فبدأ به، ومره وانهه من غير تعنيفه، وعليك بكلام بين النصيحة والدلال».

[1]- ينظر : المصدر نفسه، ص75-138-35.

الخاتمـــة

الخاتمة:

لقد كان ما تقدم في تضاعيف هذه المذكرة رحلة علمية تتبعت مصطلح السخرية، وجعل مظاهره الفنية والاجتماعية من كتاب التطفيل للبغدادي، وعليه أسفر البحث على مجموعة من النتائج ويمكن إجمالها فيما يلي:

1- لاحظنا في تحديدنا للمعنى المعجمي والاصطلاحي لكلمة السخرية أنها تتضمن معنى التفاوت والاستهزاء، والاحساس بالفوقية اتجاه سلوك إنساني محدد.

2- قد تتزايد حدة السخرية فتصبح هجاءً فظاً أو تهكماً مريراً، كما يمكن أن تتناقص لتصير مزاحاً أو مفاكهة.

3- تتجسد السخرية في الأدب من خلال الانفعال الذاتي لدى الشخص، فيسبب الضحك والهزل.

4- تهدف السخرية لكشف متعارضات ومتناقضات الواقع وما يسوده من أفعال.

5- التسلط الانساني بكل أشكاله، وأنواعه ومستوياته من أهم الأساسيات التي أدّت لظهور ظاهرة التطفيل، حيث أصبحت وسيلة يستغلها الانسان لتحقيق مراده، ثم إن السخرية مثلت حرية التعبير التامة.

6- إن القصص المشكلة لمدونتنا تمثل شكلاً أدبياً قاراً، زيادة إلى ذلك فهي تنتمي إلى محيط إجتماعي، سياسي تسوده جملة من المتناقضات، لذلك وبعد عملية التحليل لاحظنا كيف تلبست صورة التحايل، والخداع في الواقع الانساني، بمعاني الفقر والحاجة، والغرام والعشق.

7- التطفيل ظاهرة إجتماعية واكبت طبقة معينة من الناس، إما لمتعة وإما لقضاء حاجة.

8- لعل بروز ظاهرة التطفيل لدى صنف من البشر، يدل على المهارة والذكاء في الممارسة.

الخاتمة:

9- تنوعت أساليب التطفيل في المجتمع العباسي، فكانت حجج المتطفلين كثيرة ومتنوعة تنم عن ذكاء وقاد بما لفت الانتباه إليهم من لدن الكتاب.

10- يمكننا القول وانطلاقا مما سبق أن السخرية بظاهرة التطفيل للبغدادي من أنجح الأساليب الفنية التي استعملت قديما وحديثا، كما يمكن أن تكون متعة في نفس الإنسان إبداعاً، وإقناعاً وإمتاعاً.

11- عرت وكشفت ظاهرة السخرية عن عنصر التطفيل عن الواقع وكيف يتسلط على إنسان ما، لذلك يمكن القول أنها لا تتقيد بشروط معينة ولا بالواقع المعاش، وإنما لتحقيق غاية ما تبقى حسب نفسية المتطفل.

الملاحق

التعريف بالشخصيات:

1-جوستاف فلوبير: ولد 12 ديسمبر 1821 مايو 1880 روائي فرنسي درس الحقوق ولكنه عكف على التأليف الأدبي، أصيب بمرض عصبي جملة يمكث طويلا في كرواتيا كان أول مؤلف مشهور له التربية العاطفية (1843-1845)من رواياته المشهورة سالا منبو.

2-**بليز باسكال:** ولد في 19 يوليو 1623، مات في 19 أغسطس 1962 هو عالم فيزيائي ورياضة وفيلسوف فرنسي مشهور جدا اشتهر بتجاربه التي علمها على السوائل في مجال الفيزياء وقد اخترع الآلة الحاسبة.

3-فرانسوا رابليه: ولادته ما بين 1483-1494 بشينون فرنسا، وهو كاتب فرنسي وطبيب وراهب وعالم باليونانية واحد إنساني النهضة يغير من أعظم الكتاب، وأحد مؤسسي أسلوب الكتابة الأوروبية الحديثة وتعد رواية غارغانتوا وبانتا غرويل أنجح أعماله على الإطلاق توفي في 09 ابريل 1553.

4-ميغل دي ثيربانتس: ميغل دي ثيربانتس سابيدرا ولد في 29 سبتمبر 1547 ولد في ألكالادي ايناريس، مدريد اسبانيا وهو جندي وكاتب مسرحي وروائي وشاعر اسباني، اشتهر عالميا بعد كتابة روايته الشهيرة دون كيخوطي دي لا ما نتش من أعماله: الزواج المخادع، حوار الكلاب.

-رينيه ديكارت: (31 مارس 1596، 11 فبراير 1650) فيلسوف وعالم رياضي وفيزيائي فرنسي، يلقب "بأبو الفلسفة الحديثة" اخترع نظام رياضي سمي باسمه وهو (نظام الإحداثيات الديكارتية) من أهم الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العالمية مقولته الشهيرة: "أنا أفكر إذا أنا موجود" من مؤلفاته: مقال عن النهج، العالم، قواعد لتوجيه الفكر.

5-مولبير: جون باتيست بوكلان والملقب بموليير (15 يناير باريس، 17 فبراير 1673) وهو مؤلف كوميدي مسرحي وشاعر فرنسي، من أهم مؤلفاته: الطبيب الطائر، خناقة حب، الطبيب العاشق.

6-بيرناردشو: ولد في 26 يوليو 1856، توفي 2 نوفمبر 1950 مؤلف ايرلندي شهير ولد في دبلن، وانتقل إلى لندن في العشرينيات نجاحاته في الأدب والموسيقى، لكنه انتقل إلى المسرح ألف ما يزيد ستين مسرحية، حاز على جائزة نوبل في الأدب وجائزة الأوسكار من أهم أعماله: بيوت الأرامل، مسرحية السلاح والرجل، بيت القلب الكبير.

-**واشنطن ارفنج**: (3 ابريل 1783- 28 نوفمبر 1859) مؤلف وكاتب مقالات وكاتب سير ومؤرخ ودبلوماسي أمريكي من أشهر قصصه: «ريب فان وينكل»، «أسطورة سليبي هولو».

7-مارك توين: اسمه الحقيقي صامويل لا نغهورن كليمس كاتب أمريكي ساخر (30 نوفمبر 1835، 21 ابريل 1910) كان أحد أشهر الكتاب الساخرين من أهم أقواله: "حين نتذكر أننا كلنا مجانين يتضح لنا معنى الحياة "، "إذ وجدت نفسك مع الأغلبية فقد آن الأوان للتغيير"، "الجنس البشري يملك سلاحا فعالا وحيدا، ألا وهو الضحك".

8-جوناثان سويفت: (1667-1745) وهو أديب وسياسي انكليزي إرنلدي عاش بين القرنين 17 وال 18 للميلاد واشتهر بمؤلفاته الساتيرية (السخرية) من أهم مؤلفاته: رحلات جلفر، خرافة مغطس، حرب الكتب.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش.

2-المصادر:

1 -أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي: التطفيل وحكايات الطفيليين، وأخبارهم، ونوادر كلامهم وأشعارهم، دار ابن حزم، د.ط، سنة 1002، 1072.

3- المراجع:

1 -أحمد فارس: مقاييس اللغة: تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج3.

2 -محمد مكدم بن علي أبو الفضل جمال الدين، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المتوفي 711هـ، لسان العرب، دار صبح، بيروت، لبنان، ط 1، 2006، ج 1 (مادة س.خ.ر).

3 -ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين، دار الفكر اللبناني، لبنان، ط1، 1990.

4 -ابن الجوزي: أخبار الظراف والمتماجنين، دار ابن جزم، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

5 -أحمد علواني: السرد والحجاج في أخبار الطفيليين، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 2015.

6 -تقي الدين ابي بكر بن علي بن محمد ابن حجة الحموي: ثمرات الاوراق، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، 2005.

7 -ركان الصفدي: الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع ق 5هـ،الهيئة العامة السورية للكتابة، وزارة الثقافة، سوريا، د.ط، دمشق، 2011.

8 -عبد الحليم محمد حسين: السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الجماهرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط1، 1988.

9 -محمد العمري: البلاغة بين التخييل والتداول، د.ط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2005.

10 -محمد القاضي: الخبر في السرد العربي، بحث في السردية العربية، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

11 -نبيل راغب: الأدب الساخر، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، د.ط، 2000.

12 -نزار عبد الله، خليل الضمور: السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار ومكتبة الحامد، ط1، الأردن، 2012.

13 -نعمان محمد امين طه: السخرية في الادب العبي في نهاية القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية، جامعة الازهر، ط1، 1978.

14 -منشوب سامية: السخرية وتجلياتها في القصة الجزائرية المعاصرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة تيزي وزو، الجزائر، 2011.

4- المرجع باللغة الفرنسية:

1 - http : www.alukah.net

2 - World : mlsspace.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ–ب
الفصل الأول: السخرية النشأة والتطور	**5–16**
تمهيد	5
أولا/ السخرية	6
1– تعريف السخرية	6
2– السخرية في الأدب	8
2 –1 عند الغرب	8
2–2عند العرب	10
3 – اسباب السخرية	12
4– التطفيل	13
4–1 لغة	13
4–2 اصطلاحا	15
الفصل الثاني: مضاهر السخرية في كتاب التطفيل للبغدادي	**18–39**
1/ التعريف بالخطيب البغدادي و اهم مؤلفاته	18
2/ مضون الكتاب	19
3/ مواضيعه وشخصياته	22
4/ انواع المتطفلين واسباب تطفلهم	27
5/ موقف المجتمع البغدادي من ظاهرة التطفيل	30
6/ اساليب التطفيل	33
7/ ظاهرة التطفيل في العصر العباسي	38
خاتمة	41
ملحق	44
قائمة المصادر والمراجع	47
فهرس الموضوعات	